قال المصنف:

وَقَدْ قَالَ اللهُ عز وجل فِي سُورَةِ {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١)} [ق] مَا دَلَّنَا عَلَى عظيم مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنه، ثم ذَكَرَ النَّارَ وَعَظِيمَ شَأْنَها.

ثم ذَكَرَ الجنَّة وما أَعَدَّ فِيهَا لأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ عز وجل: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)} [ق] ...

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)} [ق].

فَأَخْبَرَ – جَلَّ ذِكْرُهُ – أَنَّ الْمُسْتَمِعَ بِأُذُنَيْهِ يَنْبَغِي له أَنْ يَكُونَ مشَاهِدًا بِقَلْبِهِ مَا يَتْلُو، وَما يسمع؛ لِيَنْتَفِعَ بِتِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وبِالاسْتِمَاعِ مِمَّنْ يَتْلُوهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ عز وجل حَثَّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ عز وجل: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)} [محمد].

وقَالَ عز وجل: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)} [النساء] ...

أَلا تَرَوْنَ – رَحِمَكُمُ اللهُ – إِلَى مَوْلاكُم الْكَرِيمِ؛ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهَ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلامَهُ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ عز وجل، وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلاهُ الْكَرِيمُ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فيه.

وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ، كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً، فَاسْتَغْنَى بِلا مَالٍ، وَعَزَّ بِلا عَشِيرَةٍ، وأَنِسَ بِمَا يَسْتَوحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ تِلاوَةِ السُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَى أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُو؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ: مَتى أَخْتِمُ السُّورَةَ؟ وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مَتى أَعْقِلُ عَنِ اللهِ الْخِطَابَ؟ مَتى أَزْدَجِرُ؟ مَتى أَعْتَبِرُ؟ لأَنَّ تِلاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عبادة،

والعبادة لا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ. **عَنِ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: «لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْل ، وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»...** **عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ عز وجل: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} [البقرة: ١٢١]، قَالَ: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ».**

"الشرح"

وَقَدْ قَالَ اللهُ {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ }	يصف الله كتابه بأنه مجيد، أي ذو شرف واسع عظيم، لما فيه من سعة المعاني والحجج والآيات، والمنافع والفوائد.
مَا دَلَّنَا عَلَى عظيم مَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	بين الله في هذه السورة ما يدل على عظيم خلقه، فعدد أنواع المخلوقات في السماوات والأرض، والمطر والنبات والزروع، ليتفكر العباد ، ليهديهم لعظمة الخالق، وكمال ما أبدع.
ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ	{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)}
ثم ذَكَرَ النَّارَ وَعَظِيمَ شَأْنِها.	{ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)} وهذا يدل على سعة النار، وكثرة ما يلقى فيها ولاتكتفي وتقول هل من مزيد.
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ}	ذكر العلماء في تفسيرها معنين: الأول: من أهل العلم من قال: إن التنكير هنا في "قلب" يُقصد به التعظيم، يعني: من كان له قلب حي وقّاد يعقل عن الله ويتدبر ويتفهم فهذا هو الذي تحصل له الذكرى. الثاني: بعض أهل العلم يقولون: إن التنكير في القلب هنا يدل على أن ذلك يصدق على من له الحد الأدنى من حياة القلب، بمعنى أن قلبه لم يمت، لم يصل إلى حد الطمس، والختم، والطبع، ولم يكن في

	أكنّة.
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ	وفي تفسير أو اختلف العلماء: **التفسير الأول أن "أو" هنا بمعنى الواو**، بمعنى أن ذلك يكون فيه ذكرى لمن تحققت فيه ثلاثة أمور: أولا: القلب الحي وذلك قلب المؤمن. ثانيا: الاستماع "ألقى السمع"، والتعبير بالإلقاء هنا يدل على شدة الإقبال على ما يسمع. ثالثا: "وهو شهيد" أن يُحضر قلبه عند الاستماع فيتوخى ويتحرى الاستماع في الأوقات التي يكون فيها مهيَّأً للتدبر. **التفسير الثاني: إن "أو" هذه للتنويع** لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ هذه حالة، هذا نوع من الناس له قلب حي وقّاد يحصل له التذكر بأدنى تنبيه والنوع الآخر: من كان دونه فيحتاج إلى أن يلقي بسمعه وأن يُحضر قلبه فيبذل المزيد من الجهد من أجل أن يحصل له التذكر والاعتبار والتفكر.
يَنْبَغِي له أَنْ يَكُونَ مشَاهِدًا بِقَلْبِهِ مَا يَتْلُو	عن حنظلة بن الربيع: "كنا عند رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فذكرنا الجنةَ والنارَ حتى كأنَّا رأيَ العينِ " أي: نَكونُ وكَأنَّنا نَراهُما رأيَ عَينٍ مِن قوَّةِ الإيمانِ، واستِحضارِ القَلبِ، وتَأثَّرنا بذَلكَ تَأثُّرَ مَن يَراهُما بعَينِه.
أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ	هذا الإنكار أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ في الموضعين، وهاتان الآيتان كثير من أهل العلم يقول: إنهما في المنافقين، والسياق يدل على هذا، وهذا المنافق حينما يُخاطَب بمثل ذلك لربما يكون قد طُبع على قلبه، فهو لا يعقل كما أخبر الله عنهم أنهم إذا خرجوا من مجلس رسول الله ﷺ يقولون: "ماذا قال آنفاً"، "أيكم زادته هذه إيمانًا"، فهم لا ينتفعون. وهذه يؤخذ منها أيضاً أن تدبر القرآن يُطلب من كل أحد، وأن ذلك

	لا يختص بالعلماء، ولكن الخطأ الذي قد يقع لكثير من الناس أن الذهن قد يسبق عند ذكر التدبر، أو المخاطبة به إلى استخراج اللطائف والدقائق البلاغية ونحو ذلك مما لا يتوصل إليه إلا بشيء من العلوم المساعدة، بعض علوم الآلة، علوم اللغة من البلاغة ونحوها، وهؤلاء ليس عندهم أهلية في الغالب -أعني العامة- لاستخراج مثل هذه المعاني لفقد الآلة. ومن هنا فإن سبق الأذهان إلى مثل هذا غير صحيح، وليس ذلك هو المطلوب بالتدبر، ولكن الإنسان يتدبر ليعظ قلبه، من أجل أن يرقق قلبه
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	أي أن ما على القلوب من أقفال وحجب تحول بينها وبين فهم القرءان وتدبره، فإذا فُتِحت الأقفال ورُفِعت الحُجُب —كالغفله واللهو بالدنيا- حصل التدبر، وعقل الخطاب. والعجب أن الناس قد يقرءوا الكتب المؤلفة في العلوم الدنيوية كالطب والهندية والمحاسبة وإداره الأعمال وغيرها، ويحاولن فهمه وتدقيق المعاني وإعمال العقل، وتنغلق قلوبهم عن كتاب الله الذي فيه الرحمة والهداية والصلاح!.
وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ	أعظم ما اشتمل عليه القرءان هو معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته، ومن عرف الله بذلك أقبل قلبه عليه تعظيمًا واجلالا ومحبة ورجاءا وخوفا.
وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلاهُ الْكَرِيمُ،	القرءان يشمل على معان ثلاث: الأول: معرفة الله بأسمائه وصفاته وتوحيده، لذا سورة الإخلاص تشتمل على ثلث القرءان لأنها أخلصت الخبر عن الله. الثاني: معرفة الطريق الموصل إلى الله، وهي الأحكام الشرعية من المأمورات والمنهيات.

وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فيه.	الثالث: بيان ما أعده الله لأهل طاعته من الثواب، ولأهل معصيته من العقاب.
"لا تنثروه نثر الدَّقل"	والمقصود بالدَّقل التمر الرديء اليابس، واذا اهتز التمر اليابس في العذق انتثر التمر، والمعنى لايكن حالكم مع القرءان كمن بيده عذق تمر يابس رديء ثم ينفضه ويتناثر ويتساقط هنا وهناك، لكن تدبروه واقرءوه على مهل واتركوا العجاله.
"ولا تهذوه هذّ الشعر"	بمعنى أن القرآن يُقرأ بطريقة لائقة به، فلايقرا بسرعه، ولاينتفع معها بالقرءاة، هذا كلام الله –تبارك وتعالى– وهو أصل الهدايات، فيُتعامل معه على هذا الأساس، هذا أشرف الكلام وأجلّ الكلام.
قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ	لأن القرءان مليء بالعجائب والحجج القوية والمعاني التي تبهر العقول.
وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ	لايمكن للقلوب أن تتحرك إلا بالتدبر.
وَلا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ	عن شقيق بن سلمة أن جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ له نَهِيكُ بنُ سِنَانٍ إلى عبدِ اللهِ، فَقالَ: يا أَبَا عبدِ الرَّحْمَنِ كيفَ تَقْرَأُ هذا الحَرْفَ؟ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً (مِنْ مَاءٍ غيرِ أَسِنٍ)، أَوْ مِن مَاءٍ غيرِ يَاسِنٍ؟ قالَ: فَقالَ عبدُ اللهِ: وَكُلَّ القُرْآنِ قدْ أَحْصَيْتَ غيرَ هذا، قالَ: إنِّي لَأَقْرَأُ المُفَصَّلَ في رَكْعَةٍ، فَقالَ عبدُ اللهِ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إنَّ أَقْوَامًا يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إذَا وَقَعَ في القَلْبِ فَرَسَخَ فيه نَفَعَ.